نادي الجوف
الأدبي الثقافي
الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

نجم نابض في التراب

قصص

ماجد سليمان

ماجد سليمان

نجمٌ نابضٌ في التراب..

قصص

ماجد سليمان

نجمٌ نابضٌ في التراب..

قصص

مؤسسة الانتشار العربي

ص.ب: 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف: 659148 ـ 9611 فاكس: 659150 ـ 9611

ISBN:

الطبعة الأولى 2013

الفهرس

أرضٌ مُعبَّأةٌ بالغياب . . 7

نَعيٌ على شُبّاك الليل . . 11

خَرَاباتُ اليأس . . 13

الضِفّة الأخرى من الدنيا . . 15

نَجمٌ نابضٌ في التُراب . . 17

ثوبُ القمرِ الفِضيّ . . 19

البحر المرجوم . . 21

حُزنٌ رماديّ . . 23

عَاشقٌ منحوت . . 25

ثُقُوبٌ في القلب . . 27

أربعون خريفاً . . 29

صَبيحةٌ صفراء . . 31

طُفولةٌ مَنسوجةٌ بِنُبُوءة الجَد . . 33

ضَبَابُ الانفصال . . 37
طَعمُ النار . . 39
ألواحُ الجوع . . 41
صحيفة العَدُو . . 43
انقضاض . . 45
هُزَالٌ صَنَعهُ المَرَض . . 47
صُندوقُ العزوبيّة . . 49
حَظٌّ للبيع . . 51
ضَوءٌ مُندلق . . 53
مَذَاقُ المنيّة . . 55
موعد . . 57
هَيت لك . . 59
سَقَطَ عمداً . . 61

أرضٌ مُعبَّأةٌ بالغياب..

مَخمورٌ نحيلُ الوجه، بَدَت له الأرض وكأنّها مُعبَّأة بالغياب، أدارت له ظهرها فوقف مُريقاً بصره في عتمة جديلتها.

اقترب منها وشدّها من كتفها دافعاً نداء قلبه نحو شحمة أذنها الحمراء:

- لا تذهبي..

كَرّرها ثانية فوق صوته الأحدب:

- لا تذهبي..

أجابته بلكنةٍ باذخة الرِقّة:

- كي لا يشتد العشق في خَلَدي...

قاطعها:

- لَمَ لا تنزلين أحماله عن ظهر صبركِ إذن!!

عقدت جديلتها وَمَطّت طراوة شفتيها:

- ليتني أستطيع..

قال وخيط الدمع يمشط وجنتيه:

ـ لقد بسطتِ في طرقات قلبي بساطاً من الحب، فَلِمَ لا تدخلينه؟!!.

ثمّ تحرَّكت عيناه فوق قطعان النمش الصغيرة المتناثرة فوق نعومة صدرها، وأردف بأسى:

ـ لم أكن أعرف أن الحبَّ يَدوسُ أعناق المُحبين!!. .

سألته حين أوغل كهل الشكِّ في دواخلها يده:

ـ ما الحب إذن؟!. .

فشَعَر بأن الأرض تشدُّ كاحله، وبأنَّ قطرات قلبه لا تجفّ، فاجترَّ جوابه في لحظة تَمنّى منها أن تردم فجوة في قلبه:

ـ الحب: أن تُصغي إلى هيام روحي. .

أسكتت صوته بأناملها البيضاء، وهمست:

ـ أهل مكة أدرى بشعابها. .

ثمّ طَبَعت على خدِّه سُلافة قبلةٍ مبتورةٍ وطلبت:

ـ اترك يدي. .

فتمرّدت فوق الظلام مكسِّرةً ضوء فتنتها، وهو يراقب قوامها المستشيط لهباً، فانكفأ خائراً يلعق ظهر الأرض، ليدفن بعدها جُهد ملامحه في راحتيه، منشغلاً في تفتيتِ لهفته. .

أيقن بعدها أنّه سَلَكَ طريقاً محفوفاً بحفر الغرام، ومواطئ العشق القاتل، عَثَرَ عليه أحدهم مُتمرِّغاً في الطين، بعد أن أفرغ

كُلَّ ما رُصَّ بزوايا صدره من مشاعر .. قِيلَ: لو أنّه كتمها لمات منها..

لكنَّه أحسّ بالموت وهو يحمل قلبه المريض بحبّها، ظنّ كُلَّ الظنّ أنّه سَيمدّ له يده ويذهب معه، يصُرّ على أسنانه ويقول:

- سآوي إلى مكانٍ يعصمني من الحب.

فشَعَرَ بانهزامه أمام بُغيته، فصاح بصوتٍ مجروح:

- إليَّ بمن ينظر في جراحي..

رَدّدها هائماً في الأزقة الضيّقة، فلم يَرُفَّ أحدٌ إليه بجواب، فانزوى جانباً ليسحَّ لَهَب دمعه مُتّكئاً على جدارٍ مُتّسخ، ليجدوه وقد صَحِب الموت في رحلته وألمه لم يبرد بعد.

نَعيٌّ على شُبّاك الليل..

سألها حين لَفَتَ انتباهه أنّها بَدَتَ له كبيرة الظنون، ومتراكمة الهموم أكثر من قبل:

ـ كيف كانت النتيجة؟..

نَظَرَت إليه صامتة، وَكَرّر سؤاله:

ـ كيف كانت النتيجة؟..

هَزّت كتفيها كعلامة عن عدم المعرفة، فتنفَّس مِلء صدره، وتَقَدَّم نحوها وَوَضَع كفّه على عضدها، وأجلسها بجواره على طَرَف أريكة حمراء، وهي تُخبِّئ ارتجاف قلبها.

نَظَرَ إلى عينيها الهاربتين من نظراته، رَاقَبَ حركة قدميها اللتين تشبهان لسان الأفعى، وهما تتحركان بارتباك، فقال:

ـ كأنَّك تُدارين أمراً لا تعرفين به!!..

لَمَست عُريَ ظهره الموشوم برسوم سوداء صغيرة، نسمةٌ باردةٌ دفعها الليل من الشبّاك، فقام وأغلقه بشدّة، ليسمع صوتها شاكياً:

ـ نتيجة الكشف تقول لا أمل لي بالإنجاب..

فَزَفَرَ كزفير الجمل، وبخوفٍ معجون بالارتباك سألته:

- لِمَ لا تبحث عن امرأة تُنجِبُ لك الأطفال؟ . .

شَدَّ بيده الضخمة يدها الصغيرة قائلاً بابتسامة تقترب من الحزن:

- أنتِ طفلتي. .

ثُمَّ سكت ثانيتين وأردف:

- وحبيبتي. .

فَبَقِيا يتبادلان النظرات الصامتة حَتَّى لَعِقَت ألسنة الشمس جسد الأرض.

خَرَاباتُ اليأس..

كان ينتظرها على الرصيف المقابل لجامعة البنات، كان مُتَشَقِّقاً من الحنين، يَتَصَبَّبُ انتظاراً وتَرقُّباً حاراً لوصولها . . بوكيه الورد الأحمر الماثل خلف ظهره النحيل تباطأ حضورها أيضاً.

كان باهت البشرة كأنَّه مولودٌ من رَحِمِ الشقاء، فالشوق المتغلغل في أوردته أتلف قلبه المنتفض من تحت أضلاعه الخربة، يضرب بكعبه الأيمن صلابة الرصيف المدهون بالأسود والأصفر. . التوت روحه على طيفها الذي تراءى له عن كَثَب. . أقبل إلى طيفها كالخارج من خرابات اليأس مسحوباً بحبل أملٍ شديد، فارتطمت جبهته العريضة بجذع شجرة تُزَيّنُ الطريق فَصَحا كنائمٍ نُضِحَ في وجهه الماء البارد، قَلَّبَ نظره المائع في الورد المتفتّت من عَرَقِ يديه طوال الانتظار، أطال النظر دقائق عابرة ثم ألقى به على الرصيف المتَكَسِّر تاركاً خلفه أمنيات مُزهقة، وموعداً أخلفته ذات القد، ووروداً متفتّتاً وَعَرق يدين استحال إلى ملح يأكل بقايا الانتظار.

الضِفّة الأخرى من الدنيا..

ـ لنذهبنّ إلى التلِّ الرملي. .

قالت له صديقته السمراء وهي تتملّص من يديه اللتين تطوقانها من خصرها . .

على الضفّة الأخرى من الدنيا، حملها كغصنٍ أخضر مُزهر، وركض بها فوق نعومة الرمل الذهبيّ، وهي تشاغب سمعه بصوتٍ ضحوك:

ـ أنزلني أنزلني. .

وَقَفَ طالباً منها:

ـ اجعلي من طعونك لي باقةَ نصال. .

احمرّت وجنتاها، وأكمل:

ـ أرجوكِ . . لا ترحمي رقائق أضلعي الحمراء. .

أنزلها فاستوت جالسةً على العشب، وأضجعته فوق فخذيها ماضيةً في مسح رأسه كهرٍّ مُدلَّل، ليشعر بانغماسه في ماء الغرام، فسألها:

ـ أذكرك تُفتّشين في نهديكِ عن زمن الـطفولة؟ . . .

جَرَفت الكلام إلى منحنى آخر:

ـ ما رأيك؟ . .

ـ بماذا؟ . .

ـ أن نغمس أرجلنا في ماء النهر . .

فَنَهض جاذباً يدها خلفه ليُراقصها في النهر، وكأنَّها ترقص فوق شرفة روحه، وطَفِقا يُكوّمان الأحجار بعضها فوق بعض، وهو ينظر إلى مَرَايا شعرها الطويل، إلى أن ألقت على شفته الغليظة قُبلتها،

وابتعدت . . .

وابتعدت . . .

نَجمٌ نابضٌ في التُراب..

ماتت بين أفراد عائلتها. . حَمَلَها أكبر أحفادها فَشَعَر وكأنَّها انقلبت فوق يديه عُشبةً يابسة، وبعد يومٍ من دفنها، عثروا خلف المقبرة على نجمٍ نابضٍ في التراب.

وفي صباح العزاء نَهَض حفيدها الصغير باكراً، فتزاحمت على أذنه غمغمات المعزِّين القادمة من حجرة الضيوف، انزلق مع السلّم نازلاً، فلم يجد على سُفرة الإفطار غير خيالها المبتسم له، بينما أخته الكبيرة تفرك يدها وتهزّ ناحل عودها، وهي تمسح دمعها القادم كدفق النبيذ.

أصابته نصال الحزن، وَنَتَف البكاء أضلعه، فَدَخَل حجرتها وأراح يده الصغيرة على مشطها الخشبيّ المكسور . . آمن الآن أنَّها ترقد في نومها الأبديّ، انصرف بعدها خارج البيت ليجد الأرض وقد تراجع ظلُّها.

ثوبُ القمرِ الفِضيّ..

جَلَسا في مقهى صغير يقع في آخر شارعٍ فرعيّ ضيّق . . ينظر إليها مُعتمرةً قُبّعةً سوداء على حوافها زخارف ذهبيّة، شَعَرَ وكأنّها تنظر إليه رجلاً آخر . . يطلب كأس نبيذ واحدة لتقتسمه شفتاها الصغيرتان مع شفتيه الغليظتين، مُتأمِّلين قطرات المطر المتبيّنة تحت أضواء الشارع، وكأنّها اتصالٌ ناعمٌ بين السماء والأرض.

ثمَّ اجتذبها من معصمها ومضيا ماشيين على طريق مُقمر، ليجلسا على كرسيٍّ يتّسع لثلاثة أشخاص، تحاصرهما ليلة دافئة، حيث رطوبة البحر أكثر هدوءاً . . قالت له بعذوبة:

ـ وأخيراً أدركتك في الخمسين . .

ابتسم بزهو وسألها:

ـ لِمَ كُلُّ هذه السعادة؟!!.

أجابت بعد أن أسرعت الدماء إلى وجنتيها:

ـ لأرى كم وَصَلت إليه ذروة ثمالتك . .

التفتت جانباً ثمّ سمّرت نظرها الذابل في ذقنه قائلة:

ـ تُعذّبني هذه الشعرات البيض المستريحة هنا . .

لتتحرّك يدها اليمنى لامسة ذقنه بباطن أناملها، ثمّ ترتفع لتدعك الشيب المتناثر فوق شاربه المربّع القصير، ففَطِنت لوجهه المعرورق حياءً منها . . فَوَقَف يخاطبها بنغمة مُتحيّرة:

ـ عَليّ الذَّهاب الآن يا قَمَري . .

طَلَبت منه وهي تقف معه:

ـ أعطني يَدَك إذن قبل أن تذهب . .

صافحتها وتركت قُبلتها فوق ظهرها بعد أن اشتمّتها برفق، وودّعته مُنحدراً في طريق فَرَشَ القمر عليه ثوبه الفضيّ.

البحر المرجوم..

عقرب الساعة يلدغ الواحدة ليلاً، ثَمَّة شابٌ يرجم بالحجر جسد البحر، ويقذف بالشتائم كل موجةٍ تصل إلى قدميه الحافيتين، يحاول بطرائق شتى إيصال صوته الغاضب إلى مسامع طُغاة المدينة، التي تقبع خلفه تماماً، توقَّف عن قذف الحجارة قليلاً، ثم رَمَقَ المكان الذي حوله بعينيه الهزيلتين، لقف حجراً متوسط الحجم، ثم عاود رجم جسد البحر.

وبعد سويعات من ليل الصيف القصير، تُطلُّ الشمس برأسها من خلف البحر المرجوم بالحجارة والشتائم من ذاك الفتى، وقبل أن تشارف المدينة، كان هناك جسدٌ مُلقى على سجادة الشاطئ، فتىً في الثلاثينات من عمره، غَطَّتهُ شراشف النوم والإرهاق عن إكمال العَبَثِ بمشاعر البحر ليلة البارحة.

حُزنٌ رماديّ..

ـ عُد باكراً يا نعيم..

تَذكّر وصيّة أمه وهو يقف أمام الحانة ذات الباب القصير ذي السلم الخشبيّ المنحدر إلى أسفل .. فَكّر أن يستعيد وحدته فاختار طاولة منعزلة بعد أن دَلَفَ شاقّاً طريقه بين الطاولات المربّعة والمستديرة.

أصوات المخمورين تجذبه بطرف من رائحة الليل الأخيرة .. نساء الساعات الأولى من الفجر يتصاعد ضحكهنّ من خارج الحانة، يمسح عن وجهه غبار حزنه الرماديّ ويطلب كأس نبيذٍ من النادلة التي انتبه لخدشٍ طويلٍ في عنقها البيضاء.

يَتَأمّل زجاجات الخمر اللامعة، يرفع رأسه ويخفضه حسب سير بصره عليها .. يفرغ الكأس في جوفه الفارغة، ويخرج من فَمِ الحانة كقطٍّ سَائب، ليصطبغ غبار حزنه بوجهه من جديد .. ووصيّة أمه تتبعه: عُد باكراً يا نعيم..

عَاشقٌ منحوت..

هَالاتٌ قاتمةُ السَّواد تُحيط بأجفانها الحنطيَّة، لمست بأنملة سبّابتها اليمنى تقويس حاجبها الرفيع، ونفضت الأتربة الملتصقة بعرق جبهتها.

بالأمس كانت أنوثتها مُرصّعة في عيون عُشَّاقها العابرين، حيث لم يبق بصدرها سوى عاشقٍ منحوتٍ ادَّخرتهُ لأيامها هذه.

تَكَسَّر آخر أعواد أمَلِها هذا الصباح، لتدفن بين شفتيها المكتنزتين أرخص أنواع التبغ، وتراقب دخانه وهو يظلِّل البقع السبع اللاتي تركها آخر عشَّاقها حول عنقها الطويلة . . تَعقِدُ شالها الممزَّق بعد أن لَفَّت شعرها الدُهنيّ الطويل، لتترك قِطَّتها الرماديّة في المكان وتذهب.

ثُقُوبٌ في القلب..

استوى جذعها النحيل إلى عامه الثالث والعشرين، اشتدَّ ظمأها إلى أبيها المتوفّى . . تُباري جدار الحياة الكَدِرة بحذر، لم تشعر إلا والحُبُّ العُذريِّ يخربش قلبها ويحفر قعره بأظفاره السوداء، تنازعها كِلا الحبّين: الأبويّ والعذريّ.

سَمِعت صوت أبيها ينحدر بزهو مع شَلاَّل كلماته الشاعريّة الصادقة، جَذَبَت طِرساً وَسَوّدته بالحبر كاتبة له: أَكَلَ اليُتم رُوحي، سآوي إلى ظِلِّك بلعبتي يا أبي.

تَضَمّدت كُلّ جراحه مما قرأ، فاتّقدت فيه مشاعر الأب، والتحفت أجفانه بعبق البكاء الفطريِّ عليها، ليقوم بحشر ورقتها في أحد ثقوب جدران غرفته، ثمّ ألقى عَقِب سيجارته وأدار لها حرفه، وكَأنَّ روحه تصرخ لا صوته:

ـ أُهربي إليّ يا ابنتي.

وقبل أن تلمع النهاية في عينيها وينتصر عليها الألم، اندفعت بلعبتها المكسورة إلى ظِلِّه الذي لم يتقاصر. . فكانت الدنيا أرقَّ وأشهى حين مرّت شفتاه على جبينها.

أربعون خريفاً..

قَضَمَ النسيان من عمرها أربعين خريفاً، أقامت في كنفه أحلامها الخضراء بتفاصيلها البنفسجيّة، وفي صباحٍ رماديّ المزاج ألصقت وجهها بمرآتها العتيقة التي انصدعت زاويتها السفليّة اليمنى، والتصق من أعلى حدودها اليسرى بقايا لأحمر شفاهٍ أدكن تعاقب على بقائه بكاء الليالي المبتورة من عظام حياتها الهشّة، وبأصابع سكرانةٍ خلخلت شعرها الكستنائي، وقالت لنفسها وهي تمسح خَدَّيها بقطعة قطن ورديّة اللون .. صغيرة الحجم قد التهمها البَلل :

ـ ما أضيق قبر العنوسة على فتاةٍ آثرت الدِّرَاسة على الزواج.

فارتَعَشَت شبابيكها حزناً على ما تلفظت به شفتاها المجافيتان لحروف الأمل، ثم استدارت وَالجةً مَمَرَّات منزل أمها الأرملة مُيَمِّمةً إلى صورة أبيها المعلَّقة على جدار الصالة، صورةٌ بها ميول شبه ملاحظ أودعها المصَوِّرُ بروازاً تافه النقوش والألوان، اقتربت منها وأسندت جسدها الذي ما زال مليئاً بالأنوثة إلى يدها اليمنى

متكئةً على طاولةٍ رفيعةٍ بعض الشيء، فراحت عيناها المفارقتان لظلام الكحل تجريان على تجاعيد وجه أبيها وحادثت الصورة بأسف:

ـ ليتني أطعتك لحظتها يا أبي!.

صَبيحةٌ صفراء..

تَدَاعت الأيام على زوجها وانتشله الموت من بين زوابع الحياة في صبيحةٍ صفراء، وذلك حين أتت لتوقظه من نومه . . هزَّته من كتفه وهي تناديه:

ـ يا فلان يا فلان يفتقدك الصباح . .

كانت الهَزَّةُ الرابعة جالبة لأطراف أصابعها برودة جسده الميت، فَمَرَّرت أناملها على أجفانه لتجدها يابسة . . رفعتها ببطء لتُبصِرَ عينيه وقد ابيضَّتَا من نزعة الموت.

طُفولةٌ مَنسوجةٌ بِنُبُوءة الجَد..

وَلَدته أُمُّهُ في ساعة متأخِّرة من الليل، فالتقطته جدته لأبيه وأودعته لُفافةً قطنيّة بيضاء، وَهَمَست للأم المنهكة من ولادته:

- الطفل لا يبكي!!..
- !!!!!!!..
- لا تقلقي سأهتم به..

دَلَفَت به مخدعاً صغيراً وَشَرَعَت بتجهيز مرقدٍ له، وعندما بَلَغ من العمر أربعاً جميلات، وفي باحة صغيرة من منزل جده لأمه بمنطقة قرويَّة دفعته أمه إلى جده وهي تقول:

- هذا ابني يا أبي..

يُدرِجُ الجَدُّ كفيّه الكبيرتين تحت إبطي الطفل، ويرفعه مخاطباً الأم:

- كَبُرَ بسرعة !!..

قبَّله ثم أنزله أرضاً، ومسح رأسه ذا الشعر الأشقر الناعم القصير مُنادياً:

ـ منيرة . .

ـ أمرك يا أبي . .

ينظر إلى الطفل ويقول :

ـ أظنُّ أن طفلك هذا سَيُكرِّرُ جَدَّه لأمه . .

جَمَعَت الأم كفّيها مُتعجِّبة :

ـ أبي أنت تمزح . .

انصرف من أمامها لتضع يدها خلف رقبة الطفل، وتدخل به وهي تُكلِّم نفسها :

ـ أهذا ما تنبَّأت به يا أبي؟!! . .

كان سكان القرية مؤمنين بنبوءات الجد التي لم تُخطئ نبالها يوماً، حيث تنبَّأ يوماً بوفاة حفيدته من الأم نفسها، وبعد أشهر منتوفة من تلك السنة وجدوها بعينين بيضاوين وقد انطفأت روحها .

وعندما عَلِمَت الأم بالخبر، هال مَن حولها منظرها وهي تدعك خدّها الطويل على حائط المنزل، وتسخط بإيمانٍ ضعيف . . لم يُجد لفيف جاراتها البتة، بيد أنهنّ كُنّ أَقَلَّ إيماناً منها .

❊ ❊ ❊

وانصهر عقدان من الزمن لتنبلج نبوءة الجد في الحفيد، فسحقته امرأة تصغره بسنوات أربعٍ هزيلات، وصيّرته عاشقاً لا يعي

ما يهذي طوال يومه وليلته . . وجدوا الأم بعدها تبكي على ظهر يد الجد، وهو مغمض العينين:

- والآن يا أبي التسعينيّ . . ألا تستطيع بنظرك القصير هذا أن تُعيد التأمُّل بابني، وتتنبَّأ بما سأرى فيه بَقيّة عمره . . هذا إن طال بي العمر؟ . .

رَفَعَ جفنيه الرماديين الأشيبين مُجيباً:

- تقول النبوءة أن أخته تقف على رؤوس الموتى، تَرقُبُ وصوله إليها محمولاً على نعشٍ مشطور . .

ضَبَابُ الانفصال..

إلتقت عيناهما في أحد أزقة الأسواق الشعبية القديمة، ما زال هناك خَيطٌ من الأُلفة لم يبرح عين كُلٍّ منهما، وما زالت الأعين تعرف بعضها بعضاً رغم ضباب الانفصال، قال في نفسه:

ـ أليس لي بعد السير الطويل في صحراء الجفاء من عودة؟

بادرته عيناها بوخز جنب الإجابة:

ـ الضرب في الميت حرام.

صَدَّ بوجهه تجاه البائع المقابل له .. ناوله نقود البضاعة، وذهب بعيداً.

طَعمُ النار..

جُثثٌ ملقاة تحت الأبنية وعلى جَنَبات الطرقات الضيّقة، يحاول لهب الدخان الهارب من جلودها أن يسترها، بعد أن أفرغت البنادق الطويلة بها شهوات الرصاص.

يمرق من تحت الدخان هِرٌّ أدهمُ مشجوج الرأس، ومقطوع نصف الذيل، يتبع رائحة الدم الصاعدة من جروح القتلى، يظفر بقطعة لحم مُتدليّة من يد الجُثّة التي ألغت ملامحها وسائل التعذيب قبل قتلها، قَطَعها بنابين كلون الخشب، لينزوي بها تحت شاحنة الجنود ذات الطلاء الأخضر، ويمضي في أكلها بطعم الحروق، فانتبه أنّها الكفّ التي كانت تطعمه قِطَعَ اللحم، أطلق مُواءً صاخباً أسكتته شظيّة طاشت من انفجار بجانب الشاحنة.

ألواحُ الجوع..

أرغفة الخبز المرصوصة جَذَبَت لُعابه، واستفزّت معدته المُشبعة بالجوع، أمعن النظر في عصا استخراج الخبز من التنور، أعاد الخبّاز كوفيته الحمراء إلى الخلف وَصَرَخ:

ـ ابتعد عن العصا كي لا تؤذيك..

ثَقَبَت الصرخة سمعه وَدَفَعته خطوات إلى الوراء، اهتزاز قفا الخباز وهو يخرج الخبز كان كبشارة إسكات جوعه .. خَرَجَ بعدها وهو يقضم رغيفاً جَرَفَ بعض ألواح جوعه.

صحيفة العَدُو..

قُتلت أمّها في مجرزةٍ خطّطها طاغية عربيّ وهي في سنواتها الثلاث، فرأى والدها أن يحميها من وابل الخطر، فَبَعَث بها إلى عمّتها في قرية بعيدة عن العاصمة التي مزّقتها المجزرة، ليشرع هو في مخبأ سريٍّ عن الحكومة في تدوين أخبارٍ عنه وعن أقاربه الذين مضغتهم آلة القتل.

خَرَج بعدها ليجد الجيش يطوّق العاصمة بعد بَتْرِ خطوط الكهرباء، وَسَدِّ أنابيب الماء، وَحَجْب موارد الغذاء، أرعبه تكوّم النفايات التي تقف بقربها التظاهرات البشريّة، قرَّر العمل في صحيفة العدو، فقاطعه أقاربه واستبعدوا كُلَّ ما دَوّنه.

انقضاض..

مضى يرسم ملامحها بكسرة فحمٍ صغيرةٍ على جذع عريضٍ ظامئ ويأخذ في تأمّله مليّاً ليندفع يُقبّله بشراهة بينما الصِّبيةُ يراقبونه عن كثب، مختبئين خلف تلٍّ صغيرٍ يتضاحكون ويتغامزون بجنونه.

أعتق الجذع من انقضاضه تاركاً على قَسَمَاته وَثَغَرَاته لُعاباً خالطه دم شفتين مُتحمِّستين . . لم يكن مُبالياً حين واجه خيالاً يلبسه جذعٌ شديد القسوة والصلابة.

أفاق من سكرة هيامه، أحسّ لحظتها بآلام ملتهبةٍ فوق شفتيه المنتفختين، استلقى بعدها تحت شجرة جرداء كي يستعيد شيئاً من أنفاسه، فتوسّد ذراعه اليسرى وقرّر أن ينام جزءاً قصيراً من النهار.

هُزَالٌ صَنَعهُ المَرَض..

تَقُصُّ عليه القَصَصَ بدون ترتيب، وهي تمشط بأناملها المُتقشّرة نعومة شعره القصير، لم تكن تنوي إعلامه بحدثٍ أو إخباره بِخَبَر، يستمع إلى صوتها الغارق بقَصَص الزمان العميق، وهو مُغمض عينيه الصغيرتين، وممسك بِطَرَف قميصها الرماديّ الخَشِن، انتظاراً لطارق النوم.

بعد أن عَبَرَ ثلاثاً وخمسين من سنواته الرقيقة، وَجَدَ نفسه يَقُصُّ عليها حزنه بعد أن توارى صوتها بلا رجعة، أراح كفّه الباردة على تجاعيد جبينها الأبيض، وَزَحَف بها على شعرها المليء بالشيب، بعد ساعات طَوَى ذراعيه على هُزالها الذي صَنَعهُ المَرَض، وأنزلها إلى رطوبة لحدها.

لم ينطفئ وجودها في حياته بعد موتها، فحين عاد ليلته لينام، رَجَع ذلك الطفل المُمسك بقميصها، وهي تَقُصُّ عليه القَصَص.

صُندوقُ العزوبيّة..

أتاهُ صَوتُها من نافذتها المقابلة لنافذته.. أحَسَّ بوابل أنوثة صَوتِها على أرض أذنيه المُجدِبَة من وَبْلِ أصوات النساء .. مرَّ على سمعه كملكٍ يُغدقُ العَطَايَا على وُزَرائه الـخَوَنة .. سعى إلى النافذة بهوادةٍ وبخطىً تُطبطب على سيراميك غرفته التي تَحَوَّلت إلى صندوق مملوءٍ بأحلام وآمال العزوبية.

أطَلَّ بحذرٍ وبعينين أكلتهما اللهفة لرؤية صاحبة الصوت المائيّ الذي انساب في سمعه الجاف.. ذاك السمع الذي طالما تمَنَّى من أي أنثى أن تهمس فيه ولو بحرفٍ ساكن.

رآها تُقلّم أظفارها على حافة النافذة.. التقى أهدابها فما أن ارتَدَّ بصره المتخشّب إلا وكان شباك النافذة الزجاجي مغلقاً وقد تركت بَصْقَتها مُلصقة عليه لتكون تذكاراً له.

حَظٌّ للبيع..

امرأة برصاء تقتعد كُرسيّاً من الخيزران في كوخٍ صغير، تبيع ببخس الدراهم الحظوظ القليلة، يقف في الصف الذي يمتدُّ من كرسيها فتى ذو بشرة سوداء، ليشتري نصيبه من الحظوظ، ولو لحظة فقيرة، وحين وَصَلَ دَورهُ أرته وجهه على الدرهم الرديء، فسألها:

ـ هذه ورقة أنهكتها الأيدي بتبادلها..

أخبرته وهو مُرتعب من مومياءها:

ـ الموت يلاحقك..

فقال مبتسماً بشفتين ناشفتين:

ـ أتسخرين مني؟!!..

رَدّت بعد ضمّ شفتيها وانفراجهما:

ـ ولن ترجع بحظٍّ أقلَّ من هذا..

فحُمِل صباحاً في تابوتٍ رخاميّ، يتبعه من المُشيِّعين عشرون، أغلبهم من الكهول.

ضَوءٌ مُندلق..

مُستنداً إلى سريري كخشبة، أَدرُسُ تفاصيل جسدها وهي تشذِّب الظلام بالنغمات المسافرة من تحت رؤوس أصابعها، وهي تعزفُ على آلة البيانو، لتطربني بصوتها الأنيس لسمعي . . مَضَيت مُتأملاً خطوط الوشم التي تُزيّن ظهرها العاري، فهممتُ بها قبل أن يندلق ضوء الفجر.

مَذَاقُ المنيّة..

ضوءٌ شفيف يُنير الأرض فتبدو كمرآة، وصوتان يناديان في الظلام القريب: «احضر احضر»، فيتبيّن رجلان طويلان في ملابس سوداء ضيّقة، يحملان على كتفيهما صندوقاً خشبيّاً من اللحاء الهش، كُتب على جوانبه: «عُمرٌ محاه الموت».

يضعانه على قاعٍ رمليّ رطب، وينصرفان دون أن يلتفتا، ليقف على رأسه شيخٌ يلبس قُلنسوة سوداء مُثلّثة، يُدخّن غلوينه ويقرأ في رقمٍ أحمر:

ـ كَفَنُكَ متينٌ وناعم، منسوج من القطن، أغرق في موتٍ عميق..

يصمت منصرفاً ببصره في الظلام ثمّ يكمل مُتذكّراً:

ـ لقد أخبرتك أنّ مذاق المنيّة في فمك لذيذ..

فغطّاه بالتين اليابس، وحين انتهى مادت الأرض من تحته، وهو يصرخ رافعاً يده ليُنتشلَ من اللعنة.

وعند الفجر أرعبت القرية أشباحٌ على هيئته وصورته، تقفز فوق هامات الشجر ورؤوس التلال.

موعد..

يقتفي أثر موعدها معه، فقد تَهَرَّأ قلبه من الشوق، تَذَكّر صوتها وهي تُحرّضه على اللقاء:

ـ انتظرني هناك..

فدبّت خطواته على أرضٍ قاسية داخل مقهىً يقع في بناية ذات طوابق تسعة، مَسَحَ مقعداً من الجلد واقتعده خاوياً، يعاوده الماضي لينكأه كجُرحٍ أدركه مِبضَعُ جَرَّاح، فَكَّ أزرار قميصه، وَمَسَحَ أعلى شفته بِكُمّه المفتوح، ليسأله النادل عن طلبه، فجاء صوته مُصاباً بالرعشة:

ـ قهوة سمراء بدون سُكَّر..

وبعد ثوانٍ تنحدر القهوة فوق لسانه بصعوبة، وبؤبؤاه يدوران مع دوران عقربين مدببين في ساعةٍ دائريَّة الشكل، مُعلّقة أمامه على حائط بُنيّ الطلاء، مُقسّم إلى مُربّعات كبيرة ذات أضلاع سوداء.

نَفَضَت تركيزه هفهفة خصلاتها الشقراء، وَقُبلتها المرسومة على خَدّه الأيسر ذي الزَغَبِ الأحمر، لتجلس أمامه مُزيحةً مِنْفَضة

السجائر الزجاجيّة المستطيلة، واضعةً وردةً حمراء بين يديه . . وبعينين حالمتين نَظَر إليها سائلاً:

ـ أين كنتِ؟ . .

فَفَطن لها وهي تجذب شالها على أثر عضّة حميميّة في عنقها.

هَيت لك..

كان للماء نصيب الأسد من الانسدال فوقها وهي تحته تستحم. . التهمها البخار التائه داخل المروش وهي تدعك جسدها الطري. . أغلقت الصنبور العاشق ليدها الحنون، ثمّ تهادت على مهلٍ تجاه الباب، حيث نال الروب الأحمر حَظَّه باحتضانها من الخلف.

بَدَأ قَرعُ كعبها يُراود السِيراميك المُلوّن عن نفسه، وكأنّه يتأوَّه من شدَّة الشوق إليها. . شَرَعت في تجفيف نفسها مُلقيةً بملابس الاستحمام قطعة قطعة، كقشور لوزةٍ بعضها فوق بعض، فتراءت كلوزة تُقَشِّرُ نفسها.

رَفَعت سَمَّاعة الهاتف لتلتقي شفتيها كلقاء عاشقين، فذابت بصوتها الدافئ حين قالت:

- هَيتَ لك. .

سَقَطَ عمداً..

ضَغَطَ بسبَّابَتِه اليمنى على ورقة أسماء الناجحين، ثم أخذ يسحب باطن أُنملته إلى أسفل الورقة ببطء، وعيناه تتفحصان الأسماء الواحد تلو الآخر، حَتّى تَوَقَّفت سَبَّابَاته عند آخر اسمٍ في القائمة المبتهجة، ثم جَمَعَ أصابع يده اليمنى لتأخذ شكل القبضة الحاقدة، فضرب بها باطن ورقة الأسماء تاركاً تجَعُّداتٍ مُتناثرةً في باطن الورقة المظلومة، وشقوقاً حَادَّةً على أطرافها، مُعلناً احتجاجه على سقوط اسمه عمداً.